رشدي أباظة

(١٩٠٨-١٩٧٧)

obeikandl.com

obeikandl.com

لم تنكر سامية أن فريد الأطرش هو حب العمر، ولكنها وكما ذكرنا أمام رفضه الزواج من أي سيدة وأن يعيش للفن خوفاً على نجوميته من أن تضيع، فقد قررت أن تعيش حياتها، لتنفذ حلمها القديم في أن تكوّن أسرة ويكون لديها أطفال وحبيب يخاف عليها ويهتم بها.

وقد عادت سهام الحب تطرق قلبها من جديد، حب من نوع آخر، حب العشرة والتعود، حب التفاهم والحياة والمشتركة، لتتزوج من الفنان رشدي أباظة لمدة ١٩ عاماً كانت خلالها الأم له ولابنته والزوجة الطيبة الرقيقة التي تخاف عليه وتحتويه وتحتضنه، لدرجة تصريح رشدي بعد انفصاله عنها أنه لم يحب سواها وأن تستحق تمثالاً عظيماً لأنها تحملته وتحملت نزواته وهفواته.

وقالت سامية عنه في حوارها لمجلة "ألف ليلة وليلة" عام ١٩٧١: "لم أحب في حياتي كما أحببت رشدي أباظة، لقد كنت أعلم عنه كل شيء، عن إفراطه في الشرب، وعن مغامراته النسائية، وكنت أحبه ولا أزال، ولا أعتقد أن باستطاعتي أن أحب إطلاقا كما أحببت رشدي".

وخرج رشدي ليرد عليها في حوار لمجلة الشبكة في نفس العام قائلاً: "كنت دائماً كولد عاق يرضي خاطراً خبيثاً، ثم يعود للمنزل محني الرأس مثقل الضمير، فأجد الحانية التي تصفح والملاك الذي يمسح صفحة السوء بابتسامة طاهرة".

وبداية قصة الحب بين رشدي وسامية كانت غريبة وطريفة في نفس الوقت، فأثناء تصوير فيلم "الرجل الثاني" كانت أحد المشاهد تتطلب وجود ثعابين، وبالفعل حضر أحد الحواة إلى الاستوديو للظهور مع ثعابينه في أحد اللقطات، وكانت سامية تخشى الثعابين بل وتشعر بالرعب لمجرد رؤيتهم، وأثناء التصوير وكنوع من الدعابة رماها رشدي بشيء لم تتبينه فاعتقدت أنه الثعبان، فصرخت وأصيبت بحالة من الرعب الشديد وظلت تبكي وتصرخ من الخوف، وانزعج رشدي، وأحس بالضيق مما فعل.

وذهب رشدي إلى سامية في غرفة الماكياج وقال لها:

-"انتي خفتي ليه؟ ده كان حبل مش حية"

فضحكت سامية، وبدأت أواصر الصداقة تشدهما إلى بعضهما البعض، لتتطور الصداقة إلي حب، وبات هذا واضحاً طوال تصوير الفيلم، وازداد عندما سافرا معاً إلى بيروت لحضور العرض الأول للفيلم هناك، حيث أحس رشدي بأنه لا يستطيع بالفعل 'لاستغناء عن هذه السيدة الحنونة ذات العواطف الشفافة، فكان الزواج بينهما.

ومنذ اليوم الأول لزواجهما أيقنت سامية أن رشدي فنان كبير وناجح، ويجب أن يبقى دائماً محل رعاية الزوجة واهتمامها، لذا قررت سامية أن تعتزل الرقص والتمثيل، وتتفرغ له ترعاه وتخاف عليه وعلى عمله وبيته وابنته

قسمت التي احتضنتها واستعاضت بها عن الإنجاب، واكتشفت مع الأيام كما قالت في حواراتها أن رشدي طفل كبير، يحتاج لمعاملة خاصة منها.

وقالت سامية في لقاء مع مجلة "الجمهور الجديد"، عام ١٩٧١: "أنا انظر إلى رشدي من منظار خاص، ولا أحد غيري يفهمه كما أعرفه وأفهمه أنا، فرشدي رغم الشراسة التي تظهر في بعض تصرفاته فهو في الواقع ومن الداخل إنسان هادئ وناعم وطيب القلب، إنه أشبه بالملاك.. صدقني.. فأنا أعرفه كويس".

لغة الورود

ومن كثرة حب سامية لرشدي وخوفها عليه وعلى مصلحة فقد ابتكرت طريقة رومانسية للتعامل معه، وحكت سامية عن تعاملها بلغة الورود مع رشدي أباظة، فقالت: الحكاية أنني ورشدي نحب الورد الطبيعي بشكل لا يوصف، فأحلى هدية يمكن أن يهديها أحدنا للآخر هي باقة ورد، وقد وضعت في غرفة نومنا إناءً للورد يفهم منه عندما يعود للبيت في آخر الليل إن كنت زعلانة أم لا، بدون أن يسألني.

وشرحت سامية الموضوع قائلة: فلو وجد في الإناء ثلاث وردات فهذا عبارة "أنا بحبك"، ولو وجد فيه خمس وردات فهذا معناه "أي لوف يو فري

ماتش"، أي أحبك جداً، وإذا وجد سبع وردات فإن هذا معناه أن الحب على آخره، وإذا كنت زعلانة فإن رشدي لم يكن يجد سوى وردتين قشط وجودهما لا معنى له، وإذا زاد الزعل فإنه يجد وردة واحدة، أما إذا كنت غاضبة جداً فإن إناء الورد كله أخرجه من غرفة النوم.

وعندما كان يسألها رشدي عن سبب تصرفها بهذه الطريقة فإنها كانت تجيب بأن السيدة عندما تكون في بيتها فلابد أن تفكر في زوجها وبما يعانيه من متاعب خارج البيت، لا أن تنتظر عودته إلى البيت لتنهال عليه بالعتاب واللوم والمناقشات، والورد كان أفضل وسيلة لذلك، فعن طريق الورد كان يعرف إن كنت راضية أم غاضبة، وهكذا كنا نوفر على أنفسنا المناقشة والنرفزة، وأنا أنصح كل المتزوجات بأن يخاطبن أزواجهن بلغة الورد حتى يبعدن عن بيوتهن الكآبة التي تجلب النحس.

وكانت سامية نموذجاً حقيقياً للزوجة التي تسهر على رعاية زوجها، فاعتزلت الفن والسينما وأصبحت شبه متفرغة لبيتها ولزوجها وابنته قسمت التي انتقلت لتعيش معهما وعمرها ٧ سنوات بعد أن تزوجت والدتها في بيروت، وكانت سامية تعتني بها بشدة لدرجة أنها كانت توصلها إلى المدرسة يومياً وتصر على ذلك وكانت تذاكر معها دروسها وتسهر إلى جانبها تسليها في غياب رشدي في عمله.

تليفون ميمي

وحكت سامية عن حياتها مع رشدي وخلافاتها معه قائلة: "مضت الحياة بنا أنا ورشدي وكنا خلالها نتقاسم حلاوة الحياة ومرارتها، وكانت تحدث بيننا خلافات عابرة بين الحين والأخر، يذهب رشدي على أثرها غاضباً ويقيم في فندق "عمر الخيام" ثم لا يلبث أن يعود إلى المنزل ويزول الخلاف بيننا.

وكان رشدي أباظة كما وصفته سامية خجول جداً زيادة عن اللزوم ، وفي أحيان كثيرة كان يغضب لسبب بسيط فيرتدي ملابسه ويخرج من البيت ويواجه الزحام حتى يصل إلى مكتبه ليكلمني منه بالتليفون، ويقول أنه زعلان مني في كذا وكذا، وأرد عليه: طب ليه مقولتليش الكلام ده في البيت بدل ما تتعب نفسك وتروح المكتب فيقول لي: انكسفت أقولك.

وعند سؤالها عن كيفية علاج مشاكلها قالت: لقد اخترعت أساليب كثيرة لعلاج خلافاتنا بالحب، فمثلاً أنا أهوى سماع الاسطوانات الموسيقية بكل اللغات، وذات مرة على اسطوانة اسمها "تليفون ميمي"، وهي عبارة عن حوار بين رجل وامرأة يقول فيها الرجل لحبيبته: "لا تتركيني انتظر.. كلميني لكي ارتاح واطمئن"، وعندما كان رشدي يتأخر في السهر خارج البيت كنت أضع هذه الأسطوانة على "البيك أب" وأظل أديرها إلى أن أنام، وعند عودة رشدي إلى البيت في ساعة متأخرة فإن ما كان يفعله هو أن يتجه فوراً إلى

"البيك أب"، فإذا رأى اسطوانة "تليفون ميمي" موضوعة فإنه يفهم أنني غاضبة فيحاول إرضائي، وهكذا كنا نخاطب بعضنا بالاسطوانات التي نحبها.

غراميات الدونجوان

ومضت سفينة الحياة الزوجية بين الدونجوان والراقصة الحسناء التي اعتزلت الفن من أجل سعادة زوجها.. مضت تسير في بحر هادئ ساكن حيناً وثائر عاصف في كثير من الأحيان، فرشدي كما كانت تعرف سامية "دونجوان" له مغامراته الغرامية، وذكرت أنه في إحدى رحلاته إلى بيروت، أحب فتاة لبنانية شقراء وكاد أن يتورط في الزواج منها، لولا حكمة سامية التي لحقت به هناك وأحبطت هذا الزواج.

ويبدو أن لبنان وفتيات لبنان كان لهن النصيب الأكبر في مغامرات رشدي أباظة، فبعد الفتاة الشقراء، كان هناك عاصفة زواجه من الفنانة صباح وهي قصة شهيرة توقع الجميع بعدها أن تكون سبب انفصال رشدي وسامية لولا ذكاء سامية التي تصرفت بحكمة لتحافظ على بيتها وزوجها. فأثناء وجود رشدي في بيروت ظهر الخبر في كل وسائل الإعلام رشدي أباظة تزوج صباح وطار عقل سامية جمال في القاهرة وتعددت الآراء والحكايات عن زواج

رشدي من صباح الذي تم بشكل مفاجئ واستمر زواجهما أسبوعين فقط، قبل أن يطلقها، ويعود للقاهرة.

وذكر الفنان سمير صبري في لقاء تليفزيوني بقناة "نايل سينما" الذي كان شاهداً على هذه الواقعة أن سامية تصرفت بعقلانية شديدة مع الموقف بشكل لم يتخيله أحد، إذ أصرت أن تذهب إليه في المطار لاستقباله وقامت باحتضانه ولم تتحدث في هذا الموضوع بالمرة، لدرجة أنه فور دخوله المنزل سألها إن كان هناك اسطوانات غنائية للصبوحة، فترد سامية أنها موجودة وستقوم بتشغيلها فوراً.

الطلاق

بعد كل هذه المواقف التي تكررت كثيرا حول شائعات بعضها حقيقي عن علاقات رشدي بأخريات سواء من داخل الوسط الفني أو خارجه وبعضها مجرد شائعات ؛ لم تتوقف الخلافات بين الزوجين سامية ورشدي، بالإضافة إلى إدمان رشدي لشرب الخمور بصورة أخافت سامية، وكان لابد وأن يحدث الطلاق والانفصال وتم هذا في عام ١٩٧٧ وانتهت قصة من أشهر وأطول زيجاته حيث استمر زواجه بسامية جمال ما يقرب من ١٥ عاماً.

وفي لقاء مع مجلة "نورا" سألت المحررة سامية جمال عن سبب انفصالها عن

رشدي بعد كل هذا الحب والإخلاص فقالت: السبب الأول والأخير لانفصالنا وانهيار حياتنا الزوجية هو إدمان رشدي على الشرب فقد تعبت من هذا وأصبحت حياتنا صعبة وأنا أرى الرجل الذي أحببته وأعطيته أحلى سنوات عمري يتعب وتتأخر صحته وتتغير شخصيته بسبب ذلك.

وعند سؤالها هل كانت هي من طلبت الطلاق ردت بألم قائلة: لم يكن في استطاعتي أن أفعل غير ذلك، فقد طلبت الطلاق وقلبي يتمزق، وأنا هنا افتح قلبي وأقول بكل صراحة أنني مازلت أحب رشدي أباظة كما كنت أحبه دائماً وهو يعرف ذلك ويعرف أيضاً أنني أتمنى له أن يكون ألمع شخصية في العالم الفني، بل واعتبره هرماً فنياً عالمياً وقلائل هم الناس الموهوبين مثله، ولست أطلب الآن إلا أن أدعوا الله أن يهديه.

قسمت تتحدث

ورغم ما ذكرناه عن علاقة سامية جمال بقسمت ابنة زوجها رشدي أباظة من زوجته بربرا، إلا أن عدم حضور سامية لزواج قسمت فتح المجال للتساؤلات والشائعات، خاصة في ظل ما ذكرته سامية وذكره المقربين من رشدي في هذا التوقيت عن العلاقة الخاصة التي كانت تجمع الزوجة سامية بابنة زوجها التي ربتها وكأنها ابنتها.

وفي حوار لمجلة "سيدتي" حكت قسمت عن زوجة أبيها وطريقة زواجه منها، فقالت أن ارتباط الفنانة سامية جمال بوالدها كان بدافع رغبتها الانتقام لكرامتها بعد أن رفض الفنان فريد الأطرش الزواج منها.

وقالت قسمت عن سبب انفصال والدها عن والدتها الأمريكية ليتزوج من سامية: "أمي كانت أجنبية جامدة لا تملك دهاء أبناء الشرق، وكانت سامية تصوّر مع أبي فيلم "الرجل الثاني"، وكانت تحضّر له الطعام الذي تطبخه في منزلها وتطعمه بيديها، فأمي لم تكن ناعمة في تعاملها مثل سامية، فمال أبي إلى الراقصة الجميلة التي كانت تهتم به بطريقة غير عادية، وأدركت تحية كاريوكا الخطر وحذّرت أمي التي كانت ترتبط معها بعلاقة صداقة، فقالت لها: "خدي بالك.. سامية ستخطف رشدي منك"، لكن أمي لم تصدق، وفي نفس الوقت، كان أبي قد غرق في حب سامية جمال، وانتهى الأمر بالزواج".

وحكت قسمت عن واقعة زواج والدها من الشحرورة صباح، فقالت : إنها بدأت بدعابة في لبنان، حيث قالت له صباح: "أنت لا تتجرأ أن تتزوجني لأنك تخاف من سامية"، فأجابها: "أنا أخاف، تعالي إلى المأذون"، وتحولت الدعابة إلى واقع، وتزوجا، وبعدها أفاقا من اللعبة، وتم الطلاق بعد أسبوعين وظلّت صباح صديقة لأبي حتى وفاته، وسامية جمال كانت عاقلة فقد قرأت الخبر في الصحف، ولم تغضب، بل بقيت هادئة، وعندما عاد أبي من لبنان لم تتحدث معه، وكأن شيئاً لم يحدث، فمرت السحابة بدون مشاكل".